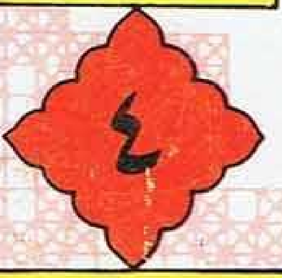
روائع
القصص العالمية
للناشئة



البطل آخيل

ترجمة وإعداد
الدكتور محمد حمود

دار النديم

روائع القصص العالمية
للناشئة

٤

البطل آخيل

ترجمة وإعداد
الدكتور محمد حمود

الغلاف : طارق عسلي

دار النديم

الأهداء

إكراماً لابنتي (لميس) . .

وللجميع الفتيات والفتيان العرب .



كورنيش بشارة الخوري - بيروت - لبنان
هاتف: ٦٣٠٩٠٦ - ٦٣١٠٠٢ - ٦٣٠٧٥٧
ص ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠

الطبعة الأولى ١٩٩٢

المقـدّمَة

تعتبر الأسطورة من أشد حقول المعرفة غموضاً وضبابيةً على وجه العموم. ويزداد هذا الغموض شدةً في نظر القارىء المعاصر لكونها تدور حول آلهة وأبطال غرباء عليه، فهي عنده أسماء مجردة ومنفصلة عن علائقها الرابطة. في المقابل فإن ما في الأسطورة من وقائع غريبة وأمور عجيبة تأسر القارىء وتستثير خياله وتشده إليها في محاولة منه للوصول إلى معنى الأسطورة الخفي بعد تجاوز معناها الظاهر. فمن الثابت أن للأسطورة تلك الخاصِّية التي تعزى إلى الشعر حسب مأثورة (والاس ستيفن)، حيث تكاد تنجح في تمنعها على الإدراك، وهذا ما يجتذب المصنفين الذين يؤكدون أن المتاهة العظمى لا تخلو من تنظيم. فالأسطورة ليست سوى علم بدائي أو تاريخ أولي أو تجسيد لأخيلة لا واعية، أو أي تفسير آخر بهذا المنحى. رغم أننا نجد من يؤكد أن الأساطير تعني بكل بساطة ما تقول كما هي الحال مع (مالينوسكي).

ومهما يكن من أمر فإن الأساطير لا تزال تجتذب الشعراء والأدباء والفنانين والسينمائيين والصغار والكبار على حدّ سواء. وقد بدأ اهتمامي بالأساطير منذ معرفتي بتلك الإشارات التي وردت في قصائد الشاعر الفرنسي (دي ـ بيليه) والتي ذكر فيها مدى سعادة (أوليس) و (جازون) (الذي تمكن من الفوز بالجزّة الذهبية) والعودة إلى وطنهما، وصولاً إلى شعرنا العربي الحديث الحافل بالإشارة إلى الأساطير.

ولكني لم أشعر بمدى حاجة المكتبة العربية إلى كتاب يجمع روائع الأساطير العالمية إلاَّ عندما وجدتني مرغماً أن أحكي لابنتي (لميس) في كل يوم حكاية كي تنام، إذ بعد أن فرغت جعبتي من الحكايا العربية قصصت عليها إحدى الأساطير فذهلت لإعجابها الشديد بهذا النوع من «الحكايا»، وهكذا وجدتني أدخل الأساطير من بابها الواسع.

ولقد حرصت على أن أجمع في هذا الكتاب روائع الأساطير العالمية بالمعنى الدقيق للكلمة ؛ فما من ناحية من نواحي كوكبنا الصغير إلّا وتناولته إحدى الأساطير الواردة في كتابنا هذا .

وهكذا فإن هذا الكتاب يتيح لقارئه مقارنة مدى تأثر الشعوب بعضها بالبعض الآخر حضارة وتفكيراً .

فدور الحية المشبوه في الحؤول بين الإنسان والخلود نراه واضحاً في أسطورة (جلجامش) كما هو واضح في قصة الخلق .

وحكاية «تحصين أخيل» ضد الموت ونسيان تحصين «كعب قدمه» تتكرر بشكل أو بآخر في أسطورة (سيجفريد) وأسطورة (سوسروكو) وكذلك الحال بالنسبة لحكاية الطوفان التي نجدها في أسطورة (جلجامش) . ولم يكن (بروميثيوس) البطل الأسطوري الوحيد الذي حمل النار للإنسان ، فـ (ماوي المقتدر) فعل ذلك هو الآخر . ومحاولة قهر الموت والفوز بالخلود معنى يتجاوب صداه في أساطير عدة وإن كان (جلجامش) و (آخيل) و (ماوي المقتدر) من أبرز رموز هذه المحاولة التي بقيت محاولة على كل حال .

وكم هناك من أوجه للشبه بين مغامرات (أوليس) في رحلة ضياعه ومغامرات (السندباد) ورحلاته المتعددة في «ألف ليلة وليلة» . .

إن هذا الكتاب الذي يقدم للقارىء العربي أساطير منتقاة من ألمانيا وأميركا الشمالية وإنكلترة وبوهيميا والقوقاز والصين ومصر الفرعونية وإسبانيا وفنلندة وفرنسا واليونان وإيرلندة والهند والمكسيك وروما وبلاد الصرب وسيبيريا وبلاد ما بين النهرين وتركيا و (بولينيسيا) ، يهدف إلى إعطاء القارىء العربي فكرة شاملة عن طريقة مختلف شعوب عالمنا في ابتداع أساطيرها وبالتالي يهدف إلى زيادة معرفته بتلك الشعوب خاصة إذا كان ممن يعتبرون أن الأسطورة علم بدائي أو تاريخ أولي أو تجسيد لأخيلة لا واعية ، أو أنها بكل بساطة تعني ما تقول ! !

والله من وراء القصد .

بيروت في ١٩٩٢/١/١ — محمد حمود

(آخيل) بطل الالياذة الخارق



كـانت (تيتيس) هي الأجمل من بين البنـات الخمسين لملك البحـر العجـوز (نيريه) الشهيرات بالنيريديات. كانت على درجـة من الجمال جعلت (زيس) نفسـه يرغب بالزواج منها. وقد تنبأ العرافون أن (تيتيس) ستنجب بطلاً يكون الأعـظم بين العظماء. وأنه إذا كان والده من بين الآلهة فسيغدو أقوى من كل سائـر الآلهة. وقـد يكون بمقدوره حرمان (زيس) نفسه من تفوقـه ومن عرشـه السماوي. خشي (زيس) من تحقق هـذه النبوءة فعمـد إلى تزويـج (تيتيس) من أحد بني البشـر وإن كان قـد اختار أفضلهم: (بيليه) ابن (إيياك) ملك (إيجين).

غالباً ما كان (بيليـه) يرى (تيتيس) وهي تجـوب البحر على ظهـر دلفين لتعود إلى كهفها في خليج حيث ينبت الرند. وعبثاً كان يحاول الاقتراب منها، فقد كـانت هذه النيريدية نَفُوراً تنجح دائماً في الإفلات منه. تحول نفسها تارة إلى طائر وطـوراً إلى حيـة. ولكي ينهي (زيس) هذه الحكـاية بعـد أن نفذ صبـره من هـذا العـريس القليل التدبير ظهر أمام (بيليه) وقال له:

«إذا أردت الظفر بـ (تيتيس) عليك أن ترصد وقت نومهـا في كهفها. وعنـدها تبادر إلى شد وثاقها بإحكام بأصفاد متينة، وأن لا تدعها تفر بعد ذلك أبداً مهما كـان الشكل الذي ستبادر إلى اتخاذه».

عمـل (بيليه) بنصيحـة (زيس) وتوصـل إلى تقييد (تيتيس) في كهفهـا حولت نفسها إلى عصفور، إلى أفعى، إلى نار، إلى ماء، ولكن (بيليـه) لم يدعهـا تفلت. ولكي تنتهي من هذا الوضع، تحولت إلى آلهة بحرية رائعة وقالت:

«لا شك أن أحد الآلهة هو الذي أشار إليك بذلك. إذن فلتنفذ مشيئة الآلهة. سـوف أكون زوجتـك. ولكن تذكـر جيداً: إذا مـا رفعت صوتـك ولـو لمـرة واحـدة لتخاطبني بكلام لا أرضاه، فإنني سوف أختفي ولن تراني بعد ذلك أبداً».

كـان احتفالاً مشهـوداً يـوم زواج (بيليـه) من (تيتيس). تـولت (هيـرا) زوجـة (زيس) نفسهـا دعوة جميـع الآلهة، (أبـولون) عـزف على القيثارة، ربّـات الفن كن المغنيات. وجاء العرافون للكشف عما يخبئه القدر لنسل العروسين. قالوا:

«ستنجبـان ولـداً هـو الأشجـع من بين جميـع الأبـطال، لا أحـد يـوازيـه في

المعركة، وسوف يشتهر بشكل خاص بغزوه لمدينة (طروادة)».

سر (بيليه) سروراً كبيراً لأنه والد ابن من هذا الطراز، أما (تيتيس) فقد انقبض قلبها. لقد خشيت سلفاً على ولدها من كل تلك المخاطر التي سوف يواجهها. ولكنها أخفت قلقها وتصنعت السرور البادي على وجوه الآخرين.

هذا وقد سر الجميع لأن (هيرا) حرصت ألا تدعو بنت الليل آلهة الشقاق (إيريس) التي بمقدورها أن تعكر صفو الاحتفال.

ولكن (إيريس) عرفت بنبأ الزواج وقررت الانتقام لتجاهل دعوتها إلى الاحتفال. كانت تعرف مدى حرص كل واحدة من الآلهة على اعتبار نفسها الأكثر جمالاً. وهكذا فقد قذفت من نافذة قاعة الاحتفال بتفاحة ذهبية كتبت عليها هذه الكلمات: «إنها لأجملكن!» وكانت بالفعل تفاحة الشقاق. أخذت الآلهات الثلاث يتنازعن عليها: (هيرا)، (أثينا)، و(أفروديت). ثم توجهن إلى (زيس) ليقرر لمن تكون.

ولكن (زيس) كان فطناً جداً فلم يشأ إغاظة أية واحدة من الآلهات الثلاث، قال لهن:

«أعرف حكماً أفضل مني، إنه (باريس) ابن (بريام) ملك (طروادة). إنه لا يزال يجهل أمر نسبه الرفيع وهو يعيش مع الرعاة الذين يحرسون ماشية أبيه على جبل (إيدا). هو حَكَم عادل».

انطلقت الآلهات الثلاث على الفور للقاء باريس. ذهل الراعي الملكي لمرأى الآلهات الثلاث أمامه فجأة. ولشدة خوفه وانفعاله بالكاد تمكن من الكلام لدى معرفته بطلبهن.

(هيرا) كانت أولى المتكلمات:

«لا تخف يا باريس. إذا قضيت لصالحي فسأمنحك الغنى والسلطة على كل البلاد وإلى حيث يمتد البصر».

قالت (أثينا) بدورها:

«أما أنا فسأمنحك الحكمة والبراعة، لا أحد يمكن أن يجاريك في ذلك،

إضافة إلى أنك ستحقق أمجاداً كبيرة في وقائع الحرب».

كل ما فعلته (أفروديت) هو أنها همست قائلة:

«أما أنا فسأمنحك أجمل امرأة في العالم».

وبدون أي تردد أعطى (باريس) التفاحة الذهبية لـ (أفروديت).

ولما حان الوقت، ولدت (تيتيس) الصبي الذي سيغدو بطلاً مشهوراً سماه أبواه (آخيل).

اهتمت الآلهة (تيتيس) اهتماماً كبيراً بوليدها الجديد وكرست له كل وقتها، كانت تغسله بماء (ستيكس) السحري لتعصم جسمه عن الجروح، وتعمده بالنار المقدسة لتنقي جسده من كل ما هو فانٍ. ولكنها فيما هي تضعه في النار والماء كانت تمسكه بقدمه، ولهذا السبب بقي عقب قدمه قابلاً للجرح.

ذات يوم فاجأ (بيليه) (تيتيس) وهي تضع (آخيل) في النار، فذعر لمرأى الصبي وهو يتململ داخل النار. مرعوباً مما رأى أخذ يصرخ ويوبخ (تيتيس). دون أن تنبس ببنت شفة، وضعت هذه الأخيرة الصغير على الفراش، نظرت إلى زوجها بعينين حزينتين طافحتين بالعتاب وتحولت إلى دخان، ولم تعد بعد ذلك أبداً.

ما الذي يستطيع (بيليه) أن يقدمه لرضيع لا أم له؟ وهكذا أوكل أمر العناية به إلى السنتور (شيرون) الذي سبق له أن تعهد تربية وتثقيف الكثيرين من الفتيان الشجعان. وقد استقبل (شيرون) مهمته الجديدة بكل سرور.

خص (شيرون) (آخيل) بكل اهتمام. علمه الصيد وفنون القتال، الغناء والعزف على القيثارة، الطب وكل أنواع الفنون، كما لقنه مبادىء الحكمة. (تيتيس) الشديدة الحرص على العناية بأمر ولدها، كانت تأتي لزيارته في مغارة (شيرون) بين وقت وآخر، لتطَّلع عن كثب على كيفية نموه وكافة حواله.

بعد اكتمال تربية (آخيل) أعاده (شيرون) إل قصر أبيه. افتقد (آخيل) أستاذه كثيراً. ولكنه سرعان ما وجد في صداقة (فطرقل) الدمث شيئاً من العزاء.

وهكذا يتحتق ما رسمه القدر لـ (آخيل) وللعديدين من الأبطال سواه.

أما فيما يتعلق بالفتى (باريس) ابن (بريام) ملك (طروادة) فقد أتت آلهة

الجمال والحب وقالت له:

«لقد وعدتك أن تنال أجمل امرأة في العالم مقابل التفاحة الذهبية هذه المرأة تدعى (هيلانة) وهي زوجة (مينيلاس) ملك (سبارطة).

عندها توقف (باريس) عن رعي الماشية على جبل (إيدا) حيث وضعته أمه فور ولادته لأن عرافة أخبرت (هيكيب) أن ولدها سيغرق (طروادة) بالحديد والنار. أنقذ الرعاة الرضيع وتولوا أمر تربيته. عاد (باريس) الآن إلى المدينة التي ولد فيها. عرف الملك فيه ولده، ونسي التنبؤات المشؤومة وأبقاه إلى جانبه.

ولكن (باريس) لم يهدأ على حال ولم يستقر له قرار، فهو يعرف مكان إقامة المرأة التي يريد، ولم يكن له من هم سوى سوى السفر إلى (سبارطة) غير عابىء بتحذيرات أبيه وتوسلات أمه.

استقبله ملك (سبارطة) بالترحاب، ولكن (باريس) بادله بالسوء على كريم ضيافته. ما إن وقعت عيناه على (هيلين) حتى شغف بها حباً. كانت بالفعل أجمل بني البشر، وفي أحد الأيام غادر (مينيلاس) القصر لمعالجة مشكلة طارئة فانتهز (باريس) الفرصة وخطف (هيلانة) وحملها معه إلى (طروادة).

غضب (مينيلاس) أشد الغضب عندما عرف بما حدث أثناء غيابه. ومضى دون أي تردد يطلب العون من سائر ملوك (اليونان) ومقاتليها والانضمام إليه في الحملة التي ينوي القيام بها لاقتحام (طروادة) واستعادة (هيلين). وعده الجميع بالمساعدة، فهم يرغبون بمحو العار الذي لحق بصديقهم.

انضم (آخيل) الشاب إلى الحملة الذاهبة لحصار (طروادة). ولكن الآلهة (تيتيس) أرادت منعه من القيام بذلك. حالوت إقناعه بشتّى الوسائل ولكن عبثاً تفعل. أدركت أن توسلاتها لن تجدي فتيلاً، عندها لجأت إلى الحيلة. أثناء الليل، وفيما (آخيل) يغط في نوم عميق، أردفته وراءها على ظهر الدلفين الذي تمتطيه ومضت به وسط الظلمة إلى جزيرة (سكيروس) التي يحكمها صديقها الطيب المخلص الملك (ليكوميد).

ما إن أفاق من نومه ولم يجد جبال (تيسالي) تحيط به، وإنما شاهد بدلاً منها

وادياً خلاباً وغابات مترامية الأطراف، وسهولاً خصبة تتهاوى على شاطىء البحر حتى فوجىء كثيراً وأحس بالانزعاج.

ولكن توسُّلات أمه وحديثها المؤثر جعله يرضخ في نهاية المطاف فقرر البقاء وعدم المشاركة في حرب (طروادة). عندها ألبست (تيتيس) (آخيل) ثوب فتاة وقدمته إلى الملك (ليكوميد) قائلة:

«أقدم لك ابنتي أيها الملك العزيز، لقد قررت أن تعيش كأمازونية مقاتلة، أن تحمل السلاح، الجعبة والسهام، وأن تصطاد في الغابات. فأنا أعرف أن بناتك العزيزات، هن الأخريات يتحلين بصفات الرجولة هذه: ولهذا السبب أرجوك أن تبقيها عندك وأن تشملها برعايتك».

وعد الملك (تيتيس) أن ينفذ لها ما طلبته، ولقي (آخيل) كل ترحاب من بناته.

ولكن (آخيل) الذي نشأ في أحضان الطبيعة يصارع ويصطاد كان غاية في الارتباك وهو يرى نفسه وسط بنات ملك (سكيروس) الرقيقات. ومع ذلك فإنه استطاع بفضل المواهب التي منحتها له أمه أن يرتدي بسهولة زي فتاة وأن يغزل الصوف، بل وأن يرقص على صوت الطبلة.

في هذا الوقت، أحدثت غيبة (آخيل) بلبلة في صفوف الجيوش اليونانية وذلك لأن العراف (كالكاش) تنبأ بأن اليونانيين سيعجزون عن اقتحام (طروادة) ما لم يكن (آخيل) في صفوفهم. عندها جدّ (أوليس) ملك (إيتاك)، «وهو أعقل ملوك اليونان وأكثرهم حكمة». جدَّ في البحث عن (آخيل). أخذ يتنقل من مدينة إلى أخرى حتى انتهى به المطاف إلى (سكيروس) وملكها (ليكوميد).

وقد استطاع (أوليس) بنظرته الثاقبة أن يلاحظ منذ النظرة الأولى أن ابنة (تيتيس) تتصرف بشكل مختلف عن بنات ملك (سكيروس). فانكشفت له الحيلة ولم يخامره أدنى شك بأن تلك الفتاة هي (آخيل) نفسه. عندها قدم عدداً من الهدايا لبنات الملك مؤلفة من مجوهرات وبهارج وسواها مما تحبه النساء، ووضع مع تلك الهدايا ترساً ورمحاً غير عابىء بعدم ملاءمة هذا الأمر مع طبيعة النساء.

وقد اختار (آخيل) وحده الترس والرمح.

«وأخيراً وجدتك يا ابن (بيليه)!» قال (أوليس) عندها بتعجب. ولم يحاول (آخيل) الإنكار.

بدت جهود أمه في ثنيه عن المشاركة في حرب (طروادة) عقيمة، فليس بمقدورها التصدي لمشيئة آلهة أقوى منها.

وهكذا انطلقت أخيراً الحملة اليونانية باتجاه (طروادة). القائد العام للجيوش اليونانية هو شقيق (مينيلاس)، (أغاممنون) ملك (ميسين). إضافة إلى (آخيل)، شارك العديد من مشاهير الأبطال اليونانيين في تلك الحملة. في المقابل كان العديد من الأبطال الطرواديون بانتظارهم، ومن بين هؤلاء (هكطور) شقيق (باريس) الذي قدم على رأس جيش كامل. قوى الطرفين كانت متعادلة تقريباً.

حاصر اليونانيون مدينة (طروادة) طوال تسع سنوات، هذا رغم ضروب الشجاعة التي أبداها (آخيل) ورفاقه. ولم تضع الحرب أوزارها إلا في السنة العاشرة.

في تلك السنة نشب خلاف بين اليونانيين أنفسهم. إذ وقعت (بريزييس) ابنة (بريزيس) أسيرة في أيدي اليونان. كانت غاية في الجمال فوقع (آخيل) في حبها وأرادها لنفسه. لم يعارض أحد على ذلك سوى (أغاممنون) القائد الأعلى للجيش الذي اصطفاها لنفسه. غضب (آخيل) عند ذلك غضباً شديداً ليس فقط لحرمانه من الطروادية الحسناء وإنما للطريقة التي تصرف بها معه (أغاممنون) أيضاً. وفي فورة غضب قال:

«ما لم يبادر (أغاممنون) إلى إصلاح ما أفسده في العلاقة بيننا، فإنني وأتباعي سنعزف عن المشاركة في القتال».

لاحظ الطرواديون على الفور عزوف (آخيل) الذي طالما رهبوه عن المشاركة في القتال فرفع هذا الأمر من معنوياتهم. ازدادت غاراتهم المفاجئة على جيش العدو، حيث ينطلقون من المدينة المحاصرة، بل إنهم نجحوا في منع اليونانيين من الوصول إلى سفنهم التي أخذوا يعدون العدة لإحراقها. عندها تولى (فطرقل)

صديق (آخيل) المخلص مهمة إقناعه بالعودة إلى القتال:

«يا عزيزي (آخيل)، لقد آن الأوان لتعيد النظر بموقفك هذا أن خيرة مقاتلينا سوف يلاقون الهلاك. الطرواديون يضيقون علينا الخناق. لقد باتوا على أهبة الوصول إلى سفننا التي سوف يقومون بإحراقها. إحمل سلاحك، أشهر سيفك على الأقل، ما إن يراك الطرواديون على تلك الصورة حتى يعتريهم الذعر فيولون الإدبار».

لكن (آخيل) لم يتزحزح عن موقفه قيد أنملة واكتفى بالإجابة:

«لن أتزحزح من مكاني، وإذا كنت تظن أنه يكفي أن يرى الطرواديون سلاحي كي يخافوا ويهربوا، فهاك سلاحي خذه أنت. قم بإبعاد الطرواديين عن السفن ولكن إياك أن تتقدم أكثر من ذلك!»

شهر (فطرقل) سيف (آخيل) واتجه ناحية السفن. وواقع الأمر أنه ما إن شاهد الطرواديون خوذة (آخيل) بقنزعتها المتعددة الألوان وسيفه اللامع تحت أشعة الشمس حتى أخذوا بالتراجع. نسي (فطرقل) نصيحة (آخيل) فاستمر في تعقبهم. أخذ يخترق كل ما يعترضه وها هو الآن قرب أسوار (طروادة) وبدا كما لو أنه على رأس القوات اليونانية سوف يدخل المدينة المحاصرة. عندها سمع صوت (أبولون) شخصياً يخاطبه قائلاً:

«توقف يا (فطرقل)! فالقدر يرفض أن تسقط (طروادة) على يديك!» توقف عندها (فطرقل) لدى سماعه صوت الآلهة. عندها انقض عليه أشجع فرسان (طروادة) وطعنه برمحه طعنة نجلاء أودت بحياته.

دارت أعنف المعارك وأشرسها على جثة فطرقل. هاجم اليونانيون (هكطور) وسائر الطرواديين ولكن دون جدوى. سلب (هكطور) (فطرقل) سلاح (آخيل) ووضعه في عربته القتالية، كما ربط جثته بالعربة ليسحبها فوق أرض (طروادة). عندها برز (آخيل) وسط صفوف المقاتلين. برز بدون سلاح ولا خوذة، ولا ترس، ومع ذلك بدا مخيفاً كما لو أنه (آريس) نفسه.

ما إن رآه الطرواديون وسمعوا جلجلة صوته الرهيب حتى فروا مذعورين.

تركوا جثة (فطرقل) حيث كانت، ولكن (هكطور) حمل معه في عربته سلاح (آخيل) اللماع.

بكى (آخيل) (فطرقل) كما بكاه جميع المقاتلين اليونانيين، فقد كان محبوباً من الجميع. تم إحراق جثته باحتفال مهيب، ودفن رماده بعيداً عن الوطن في الأرض الطروادية.

هدَّأ موت (فطرقل) من غضب (آخيل) الذي لم يعد يفكر الآن سوى بالانتقام لمقتل أعز أصدقائه.

وصل به الأمر إلى حد نسيان خلافه مع (أغاممنون) وبات ينتظر على أحر من الجمر الأسلحة الجديدة التي سوف تأتيه أمه بها. وبالفعل فقد طلبت (تيتيس) من حداد الآلهة البارع (هيفاييستوس) أن يصنع لابنها ما يلزمه من سلاح، وقد حرص هذا الأخير أن يظهر فيها كل ما لديه من براعة وفن. وهكذا جاءت الأسلحة الجديدة غاية في الروعة والإتقان لم يسبق لبشر أن شاهد مثلها: الخوذة والقنزعة والسيف والرمح والترس والدرع. وقف الجميع مبهورين عندما برز (آخيل) بكامل سلاحه. مجرد رؤيته بثت الذعر في صفوف الأعداء.

تقدم (آخيل) على رأس الجيش اليوناني حتى بلغ السهل المحيط بأسوار (طروادة). ما إن أبصر الطرواديون البطل الغاضب بسلاحه الجديد حتى تفرقوا أيدي سبأ. رأوا خلاصهم الوحيد بالاحتماء خلف الأسوار. لم يثبت منهم سوى (هكطور) الذي صمد أمام باب المدينة. انقض عليه (آخيل). عندها تراجع (هكطور) إذ خشي سورة غضب (آخيل) فلاذ بالفرار هو الآخر. لحق به (آخيل)، وهكذا دار البطلان ثلاث مرات حول أسوار المدينة. وأخيراً تمكن (آخيل) من اللحاق بالهارب. لم تطل المبارزة إذ لم يصمد (هكطور) طويلاً أمام (آخيل) وهوى على الأرض مضرجاً بدمائه.

ربط (آخيل) عرقوبي (هكطور) بسوطين من الجلد ثم أحكم ربط السوطين بعربته وسحب الجثة بشكل مخز حتى معسكر اليونانيين.

لم تستسغ الآلهة هذا التمثيل بجثة بطل قضى في معركة، فتولى (زيس)

نفسه مهمة إرسال والد (هكطور) العجوز (بريام) برفقة (هرمس) ليطلب من (آخيل) جثة (هكطور). ولكي يضمن دخوله إلى خيمـة (آخيل) دون أن يتعـرض لأي أذى، وضعه (هرمس) داخل غيمة أخفتـه عن عيون الآخـرين، وهكذا ظهـر (بريـام) فجأة أمام خيمة (آخيل). جثا (بريام) فوراً على ركبتيه أمام قاتل ولده، قبل قدميه ويديه، وقال يتوسل إليه:

«تذكر أباك يا (آخيـل)! فأنت لن تـراه أبد، فـالعرافـون يؤكدون إنـك سوف تموت بعد وفاة ولدي (هكطور) بقليل. فكر بما سوف يعانيه من أسى وحزن عنـدما يعـرف إنك ستـدفن بعيداً عن أرض وطنـك، ولكن عزاءه هـو أنـك ستـدفن حسب الأصول وبكل مظاهر التكريم الجديـرة بالأبـطال. بينما أنـا أتعس إنسان على وجـه الأرض! لقـد قتلت أعز أولادي عنـدي، قـائـد المقـاتلين الـطروادين، ومـع ذلـك فها هي جثته ترقد بذل وسط الغبار قرب خيمتك. إنني أتـوسل إليـك، هيا ارحمني إذن وأعطني جثة (هكطور) لأتمكن من أن أقيم له المأتم الذي يستحق».

مـا إن توقف العجـوز عن الكـلام حتى بكى (آخيـل) بكـاء مـراً. سلَّم جثـة (هكطور) إلى (بريام)، ثم وعده بأن اليونان لن تعاود القتال قبل أن يـدفن (هكطور) بالمراسم التي يستحق.

بكى النساء والرجال بطلهم (هكطور) طوال تسعة أيام ثم دفنوه بمأتم مهيب، وبعد ذلك استعرت نار الحرب الضروس من جديد.

كان (آخيل) يعرف أن موتاً قريباً يترصد له قرب أسوار (طـروادة)، ومـع ذلـك فهو لم يحاول أبداً التملص من الاشتراك في القتال. لقد كانت السهام تتكسـر على جسـده دون أن تؤذيه، وضـربات السيـوف وطعنات الـرماح أضعف من أن تؤثـر في جسده المحصن ضد الجراح، حتى بدا وكأن النبوءة لن تتحقق. ولكن هناك مـوضع مـا في جسد (آخيـل) غير محصن ضـد الجراح. إنـه عقبه، ذلـك الموضـع الـذي أمسكته به أمه فيما هي تغطسه بالماء العجيب وهو لا يزال صغيـراً هذا المـوضع من جسده استمر قابلاً للعطب وهو الذي سيؤدي (بآخيل) إلى الهلاك.

وفيما (آخيل) على رأس كـوكبة من أشـد أتباعـه إخلاصـاً يهاجم (طـروادة)،

أصـابه سهم في عقبـه. إنه سهم أطلقـه الرامي بـامتياز (بـاريس). وإذا كان لنـا أن نصدق ما قيل فإن يـد الإله (أبـولون) هي التي صـوبت يد الـرامي. ومات (آخيـل) بفعل جرحه هذا.

وهكذا مات (آخيل) أعظم بطل في أشهر حرب.

• • •

أسئلة حول الموضوع

١ ــ بماذا تنبأ العرافون للآلهة (تيتيس) وزوجها (بيليه)؟

٢ ــ لماذا تخلت (تيتيس) عن ولدها ورحلت؟

٣ ــ كيف نشأ (آخيل)؟ وماذا تَعَلَّم؟

٤ ــ من هو (باريس)؟ ولماذا وعدته الآلهة (أفروديت) أن تعطيه أجمل امرأة في العالم؟

٥ ــ كيف حصل باريس على (هيلانة) أجمل امرأة في العالم؟ وماذا فعل زوجها؟

٦ ــ لماذا عزف (آخيل) عن الاشتراك في القتال بعد تسع سنوات من الحرب؟

٧ ــ لماذا رجع (آخيل) إلى ساحة القتال؟

٨ ــ هل انتقم (آخيل) لأعز أصدقائه، كيف ذلك؟

٩ ــ لماذا أعطى (آخيل) (بريام) جثة ابنه (هكطور)؟ وهل كان يعلم أنه سيموت قريباً، كيف؟

١٠ ــ من الذي قتل البطلَ (آخيل) وكيف؟

روائع القصص العالمية

سلسلة من القصص التي تناقلتها الأمم عبر العصور السالفة، بما فيها من وقائع وأمور غريبة عجيبة، تأسر القارىء وتستثير خياله، فتراه يعايش واقعها متشوقاً لقراءة المزيد منها، فيطلق العنان لمخيلته البشرية لتعلو به إلى مستوى الأسطورة، فيرسم في خياله نهايةَ أحداثها بشاعرية وسهولة، في محاولة منه للوصول إلى معنى القصة الخفي بعد تجاوز معناها الظاهر ليقف مواقف أبطالها بلذة ونشوة..

هذا ما ستشعر به، أيها القارىء العزيز، من خلال قراءتك لهذه السلسلة الفريدة من روائع القصص العالمية..

وقد جعلنا في نهاية كل منها «عدداً من الأسئلة»، متوخين من ذلك الفائدة المطلوبة من القصة، إضافة إلى متعة القراءة.

دار
الفكر اللبناني

هو الموزع المعتمد الوحيد لمنشورات: دار النديم - بيروت